احدى روايات مكسيم غوركي

الكاتب الروسي المشهور الذي يعد من زعماء الثورة الروسية الاخيرة ومن اكبر كتاب روسيا

ملفا

﴿ ملفا ﴾ (قلنا في الجزء السابق ان رواية ملفا التي وضعها الكاتب الروسي المشهور مكسيم غوركي هي كسائر رواياته التي ترجمت الى جميع لغات العالم قاصرة على الطبقات الدنيا من البشر كاللصوص والمتشردين ومهربي البضائع والمتسولين والنساء الساقطات الخ. لان المؤلف عاشرهم جميعاً وعاش عيشتهم فهو يصور أخلاقهم وعاداتهم وحياتهم تصويراً طبيعياً ثم ينسب اليهم اعمالا جميلة بعضها عظيم لا يصدر الا عن عظام البشر . ويقصد بذلك تحبيبهم الى الناس والدلالة على قابليتهم للاصلاح وحث الحكومات والطبقات العليا على الالتفات اليهم والعناية باصلاح شؤونهم — وأبطال رواية (ملفا) التي شرعنا في تعريبها صيادون ومتشردون وفيهم امرأة ساقطة هي أهم شخص في الرواية . وقد نشرنا في الجزء السابق شيئاً منها واليك التتمة . وتنتهي هذه الرواية في الجزء الخامس على الكثير)

٢

فسأله فاسيلي ما فعلتم بالمال الذي بعثت به اليكم في السنوات الخمس المنصرمة فأجابه ابنه انهم انفقوه في تزويج أخته مريم وترميم القربة وابتياع محراث . فقال فاسيلي فلماذا لم يكفكم .

وهنا فاضت قدر السمك التي كانت على النار فاسرع اليها فاسيلي وأخذ يحركها وهو يفكر بكلام ابنه وفي نفسه انقباض وكآبة . وكان يتساءل حيناً بعد آخر ماذا يقول ابنه عن سبب وجود ملفا هناك وكان هذا السؤال يزيد كآبته واضطرابه . اما ملفا فكانت لا تزال تلقي الى ياكو نظرات توقع الاضطراب في نفسه . فلما نهض فاسيلي قالت لياكو — لابدّ انك تركت في قريتك خطيبة لك

فقال ياكو . ذلك ممكن

فقالت وهل هي جميلة . وهل تراها اجمل مني

فلم يجب ياكو . فصاحت به مالك لاتجيب

فرفع ياكو نظره اليها وعرته هزّة لمنظر ذلك الوجه الاسمر الصبوح والعينين البراقتين والابتسامة الدالة على الخبث . فاراد اجابتها بنزق وشراسة ولكنه رأى ان في نفسهِ شيئاً يمنعهُ من ذلك . فتأوهَ وقال بلهجة الرجاء

— لماذا تخاطبينني هكذا

فقالت وكيف تريد ان اخاطبك

فقال ولماذا تضحكين

قالت لانني اهزأُ بك

ولما قالت هذا الكلام وجهت برق عينيها نحوه فغض من طرفه بضعف وقال — ماذا فعلت لك

فسكتت حينئذٍ ملفا ولم تجب

وكان ياكو متحققاً ان ملفا هي عشيقة ابيه ولذلك ما كان يجترئُ على مجاوبتها كما كان يريد

ثم عاد فاسيلي ونادى ملفا ان تأتيه بالملاعق فاجابت انه يجب غسلها بالماء ولذلك اتجهت نحو الشاطىء لتغسلها وتجلب زجاجة في الزورق تحوي شراباً مسكراً

فبعد خروجها من الكوخ لبث فاسيلي وابنه مطرقين . وبعد هنيهة قال فاسيلي يخاطب ابنه : اين لقيتها

فقال ياكو لقيتها امام المكتب حيث كنت اسأل عنك فاخبرتني انها آتية اليك في زورق ودعتني الى ان ارافقها ولا اقطع المسافة مشياً على قدميّ في الرمال فرافقتها

فسكت فاسيلي ثم قال . وما الحيلة يابني . فانني كثيرا ما غالبت نفسي فغلبتني . واذا كان من السهل الفرار من الموت فمن السهل الفرار من المرأة

فسكت ياكو ولكنهُ قال في نفسهِ ان اباهُ مازال كهلاً . وان جميع الذين يفارقون قراهم ويذهبون بعيداً لكسب المال يقعون في الفساد

وهنا عادت ملفا وفي يدها زجاجة الشراب والملاعق بعد ان غسلتها . فجلس الثلاثة الى المائدة . وكانت ملفا ترى اكباب ياكو على الطعام وشدة قابليته فيعجبها منهُ هذا

الاندفاع والشباب . ولذلك كانت تنظر اليهِ وتبتسم . اما فاسيلي فكان ياكل وهو عديم القابلية ونظره يتردد بين ياكو وملفا لمراقبتهما

وبعد حين شرب ياكو شيئًا من الشراب وفرغ من الطعام واخذ يتثاءب . فنهض ابوه وقال لهُ نم واستروح بعد الطعام . فاستلقى ياكو على اكياس في الكوخ وهو يضحك وقال : لقد اصبت ولكن الى اين انتما ذاهبان

فلم يجب فاسيلي واسرع الى الخروج لان ضحك ابنه كان يزعجه . فاجابته ملفا وهي تضحك — هذا لا يعنيك . وخرجا

فقال ياكو وهو يكاد يعربد . هذا لا يعنيني . ها . ها . سأريك ايتها الاوينسة الجميلة

ثم ابتسم ابتسامة السكارى ونام

اما فاسيلي فانه اخذ ثلاث قوائم من خشب فغرسها في الرمل على الشاطئ بشكل مثلث والقى فوقها بساطًا واستلقى هو وملفا في ظل البساط

وكانت ملفا ترى الغضب في وجهه فقالت له . ما بك ايها الشيخ . اساءك ان ترى ابنك

فاجابها غاضبًا . انه الآن يهزأ بي وانت كنت السبب في ذلك

فاظهرت الدهشة وقالت : انا كنت السبب . ماذا تقول

فقال نعم انت كنت السبب فانك لولم . . . فقطعت كلامه وقالت حقًا انك جدير بالشفقة . أصحيح ما تقول . فما كان يجب عليَّ ان افعله اذًا . اذا كنتَ تحب ان لا اعود الى هنا فانني لا اعود . اهذا ما تريد

فصاح فاسيلي . اسمعوا كلام الساحرة . انظروا هذه المرأة . انكما كليكما تضحكان مني . وانت مع ذلك اقرب اليَّ منه . ما يجعلك تضحكين هكذا ايها الشيطان

ثم ولى وجهه عنها بغضب وسكت

اما ملفا فاستمرت تضحك وهي واثقة من قوتها ككل امرأة جميلة اعتادت الاعتماد على جمالها

وكانت حينئذٍ جالسة ويداها تطوقان ركبتها وجسمها يتمايل بارتخاء وعيناها شاخصتان نحو البحر الساطع تحت اشعة الشمس كأنَّ فيه نارًا موقدة

فالتفت اليها فاسيلي اذ رآها سكتت وصاح مالك لا تجاوبين

فقالت ملفا — انني احلم

فقال وبمَ تحلمين

فرفعت حاجبيها وقالت : بلا شيءٍ

ثم سكتت هنيهة و بعدها قالت : ألا ترى ان لابنك رونق الشباب وقوته فلدغت الغيرة قلب فاسيلي فاستوى جالساً وصاح — وماذا يهمك هذا

فقالت يهمني بعض الشيء

فرفع فاسيلي رأسه اليها بغضب وهو يحرق الارم وقال : انتبهي . واياك ان تحرجيني فتخرجيني عن الصواب

ثم قال انني رجل هادىء . ولم افهم مرادك بعد ولكني اذا فهمته فاحذري

فلم تلتفت ملفا نحوه بل اجابته وهي تنظر في جهة البحر بلا مبالاة — لا تهدد يا فاسيا

فقال لا تمزحي فلا اهدد . فقالت انك لا تخيفني . فقال وقد اشتدَّ غضبه . انني اقطع جسمك ضرباً مبرحاً اذا كان في نفسك امر سيء

على ان ملفا لم تغضب لغضب فاسيلي وتهديده بل استمرت ساكنة رزينة ولكنها اجابته بهدوءٍ : هل تظنني زوجتك

وقبل ان يجيبها على سؤالها هذا اردفت كلامها بقولها — انني اعلم انك كنت تضربها لا لذنب سوى الرغبة في ضربها . فاسمع الآن . لا تظن انك تقدر على ان تفعل بي ما كنت تفعله بها . فانا حرة مطلقة كالهواء لا يملكني احد ولا اخاف احداً . واذا كنت ترغب في اظهار شجاعتك وقوتك فقد كان عليك ان تظهرها امام ابنك الذي كنت تضطرب لديه وتخاف . فلا تهدد امرأة . هذا عيب

ثم سكتت وعلى وجهها لوائح الاحتقار . فزال غضب فاسيلي عند رؤيته اياها في هذه الهيئة وسماعه هذا الكلام . وكان الغضب قد كساها جمالاً ورواءً لم يرهما لها من قبل . فعرته الدهشة وقال بشيءٍ من الاعتدال والاضطراب

— اراك تتفلسفين

فقالت : اسمع ايضاً . يظهر انك فاخرت علي مسمع من سريجك بانني استغني عن الخبز ولا استغني عنك . وقد وهمتَ . اتظنني احبك ؟ كلا وانما احب هذا المكان الذي نقيم فيه — واشارت بيدها اشارة مستديرة شملت البر والبحر — وربما كنت احب هذا المكان لانه مقفر وايضاً لان البشر الادنياء لا يقيمون فيه . والذي احبه هنا السماء والبحر . وانت تقيم هنا فلا بأس فانني اقيم معك فكأنني اعطيك أجرة اقامتي فيه . ولكن لو كان